جامعة الانبار
كلية القانون والعلوم السياسية
قسم العلوم السياسية
فكر سياسي غربي حديث
المرحلة الثالثة
مدرس المادة: أ.م.د. مؤيد جبير محمود

الباب الثاني: الفكر السياسي الليبرالي الغربي الحديث

مفهوم الليبرالية

تعد الليبرالية من المفاهيم التي يحيط بتحديدها الغموض بسبب تعدد معانيها وتباينها بل وتنافرها أحيانا، ومع هذا، فإن هناك أكثر من اتجاه في تحديدها.

الاتجاه الأول: يرى في الليبرالية سلوكا عقليا فرديا واتجاها من اتجاهات العقل ينطلق من الفرد ليعزز مكانته على حساب الجماعة، والمبدأ الذي يقوم عليه هذا السلوك العقلي هو حرية الفرد في كل الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والروحية.

الاتجاه الثاني: ينظر الى الليبرالية باعتبارها فلسفة بل مجموع فلسفي متجانس يستهدف تأكيد استقلال الفرد في اطار الكون الذي يعيش فيه، فهي منتظم يقرر قبل كل شيء كمبدأ ووسيلة لازمتين لازدهار الفرد بالحرية الفردية، كما أنها يقترح الليبرالية كمنهج للتنظيم الاجتماعي والاستعمال اليومي لهذه الحرية لتعزيز مكانة الفرد لتكون الليبرالية بذلك مرتكزة بالدرجة الأساسية على مفهوم خاص بالشخص الانساني بوصفه كائنا اخلاقيا واجتماعيا في الوقت نفسه.

الاتجاه الثالث: ينظر الى الليبرالية من منظور مجتمعي عام قوامه وجود مجتمع يعتمد على الديمقراطية البرلمانية سياسيا واقتصاد السوق الذي تحكمه المنافسة الحرة اقتصاديا وصعود الطبقة المتوسطة الى السلطة واحكما هيمنتها عليها اجتماعيا وحرية التفكير والتعبير ثقافيا، والايمان بالفرد والفردية اخلاقيا ومعارضة تدخل رجال الدين في الحياة اليومية للناس بما فيها الحياة السياسية دينيا ومبدأ القوميات الشهير دوليا.

جذور الليبرالية:

يذهب البعض الى تحديد بداية ظهور الليبرالية بظهور وثيقة الماكناكارتا/ الليبرالية ، فإن غيرهم يذهبون الى تحديد هذه البداية بظهور كتاب جون لوك الموسوم بمقالة حول السلطة المدنية، بينما يذهب آخرون الى تحديد هذه البداية بظهور مجتمع الوفرة. ويعكس الخلاف على تحديد الفترة التي يغطيها عصر الليبرالية الخلاف السابق حول تحديد مضمون الليبرالية، بقدر ما يعكس أيضا الخلط بين أسباب الليبرالية والمبادئ التي تقوم عليها.

الخصائص الاقتصادية للعصر الليبرالي:

١- الاعتماد على المبادرة الفردية التي تحركها المصلحة الخاصة كأساس في النشاط الاقتصادي.

٢-تقتضي المبادرة الفردية وجود الحرية الفردية من اجل ان تحقق هذه المبادرة مضمونها الفعلي.

٣- التوازن الاقتصادي لا يتحقق عن طريق تدخل الدولة وانما عن طريق القوانين الطبيعية الأساسية المتمثلة في قوانين العرض والطلب والمنافسة الحرة.

الخصاص الاجتماعية للعصر الليبرالي:

١-تميز هذه العصر بطبيعة متناقضة احتفظت معها القوى الاجتماعية القديمة كالنبلاء ورجال الدين في مواقع بارزة داخل المجتمع في إطار تدرج اجتماعي شديد التعقيد في نفس الوقت الذي لم تعد هذه القوى القديمة تشكل قوى اقتصادية وان بقيت محتفظة ببعض الامتيازات السياسية السابقة.

٢-تميز هذه العصر بالحراك الاجتماعي بعد ان لم يعد هناك فصل حاسم بين المراتب والطبقات يمنع العبور من أحداها الى الأخرى، أو يحول دون الاختلاط بينها بعد أن نبدأ النبلاء يتزوجون من أسر التجار البرلمانيين وبات بعض هؤلاء يترقى الى النبالة حين يبقى البعض الآخر في مرتبة العامة.

٣- العلاقة بين الطبقات اتسمت بهذا العصر بالعدائية في الغالب فالنبيل يرى في البرجوازي شخص مرابيا مولعا بجمع النقود ، والاقطاعيون يخشون تمرد الفلاحين، والتجار الكبار يخافون التجار الصغار، واصحاب الورش يشعرون بانهم مهددون من العمال، والعمال لايثقون في الفلاحين، وهكذا، وكانت الدولة صاحبة المصلحة الاساسية في تاجيج مثل هذه التعارضات .

الخصائص السياسية للعصر الليبرالي:

١-ضعف تدخل الدولة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية بعد ان تركت الدولة للأفراد حق ممارسة النشاطات الاقتصادية في حدود مصالحهم الخاصة.

٢-وهذا ما ترتب عليه تخلي الدولة عن دور الحاكم القاضي الذي مارسته طيلة عصر النهضة.

الخصائص الثقافية للعصر الليبرالي:

١-ظهور تيارات فكرية متنوعة بعد ان توالى ضعف الهيمنة الثقافية للكنيسة.

٢-تنوع هذه التيارات الفكرية بتنوع القوى الاجتماعية.

٣-ظهور ثقافة جديدة تتميز بطابعها العقلاني المتنور تختص بها طبقات اخرى كالبرجوازية.

٤-فتحت الثقافة الجديدة بطابعها العقلاني الطريق أمام تطور الكثير من المعارف لاسيما في نطاق العلوم الطبيعية كالكهرباء والمغناطيس والكيمياء، كما تطورت العلوم الانسانية لاسيما بميدان علم النفس التجريبي والاخلاق والتاريخ.

جامعة الانبار
كلية القانون والعلوم السياسية
قسم العلوم السياسية
فكر سياسي غربي حديث
المرحلة الثالثة
مدرس المادة: أ.م.د. مؤيد جبير محمود

جون لوك وميلاد الليبرالية الغربية

ولد جون لوك ١٦٣٢ – ١٧٠٤ في عائلة انكليزية متدينة، نتيجة لإهتماماته السياسية تضايقت الحكومة منه فنزح إلى فرنسا عام ١٦٧٥ وعاد منها عام ١٦٧٩ ومن ثم غادر إلى هولندا وأقام فيها بضع سنوات، وضع اثنائها الكثير من مؤلفاته : (رسالة في التسامح الديني، مقالاتان في الحكومة المدنية، مقالة في العقل الإنساني).

لقد كان فلسفة جون لوك ذات طبيعة مادية تقوم في جوهرها على المبادئ المستخلصة من تجربة الحواس وترفض كل معرفة فطرية او سابقة على الخبرة الحسية وتنتقد الروح التقليدية والقول بالخوارق.

كتابه مقالاتان في الحكومة المدنية مكرس في الاصل في التنظير لمبادئ الثورة الانكليزية عام ١٦٨٨ فلا غرابة أن نجده يبدأ كتابه هذا في دحض أفكار روبرت فيلمر التي كان قد ثبتها في كتابه (بارتياكا أو السلطة الطبيعية للملوك)، على اعتبار انها لا تتوافق مع مبادئ هذه الثورة. وكان من السهل على لوك أن يدحض هذه الأفكار مستفيداً من ان واقع انكلترا لم يكن يسمح بالأخذ بأفكار فيلمر. وبذلك توفرت للوك الفرصة لصياغتها افكاره السياسية بشأن حالة الطبيعة والعقد الاجتماعي ونشوء حالة المجتمع المدني وموقع الفرد فيه والعلاقة بين السلطات داخل المجتمع.

حالة الطبيعة عند جون لوك

تصور لوك حالة الطبيعة بطريقة مختلفة عن هوبز، فهي عنده ممكن أن تكون حالة سلام تنتهي إلى عقد اجتماعي يأخذ في صياغ هذا السلام وبفعله صورة اتفاق محدود ومشروط وقابل لأن يقود إلى الحرية. وحالة الطبيعة حسب تعريف لوك هي حالة المخلوقات الإنسانية التي لم تعرف بعد المجتمع المدني حتى في شكله الأولي، وفي ظل هذه الحالة يكون الناس احرار ومتساويين يحملون في اعماقهم نور العقل الذي يسمح لهم بتلمس القانون الطبيعي ومطابقة سلوكهم مع متطلباتهم.

العقد الاجتماعي ونشوء المجتمع المدني عند جون لوك

١- حالة الطبيعة بواقعها هذا لم تستمر، فالتطور الاقتصادي ينجم عنه تعقيد العلاقات الاجتماعية وانعدام العدالة والاستقلال الفردي الملازمين لحالة الطبيعة والحافظين للسلام والأمن.

٢- يذهب لوك الى أن النتائج التي تترتب على ظهور العملة تزايد ندرة الأرض وارتفاع قيمتها ليصبح الحق عند من يملكون قدراً أقل والخوف عند من يملكون قدراً اعظم فيدب الشقاق وتعم

الفرقة ويختفي السلام ويغيب الأمل. وساعد على ذلك تمسك الافراد بحقهم في دفع الأذى عن أنفسهم ومعاقبة المسيء إليهم فجعل كل فرد لنفسه قاضياً في قضيته وقضية المجتمع الإنساني.

٣- وهكذا يمكن القول أن ما كان سائداً في حالة الطبيعة والعدالة الخاصة، ولكن اللجوء إليها زاد من غياب الأمن وانعدام السلام، مما أشعر الإنسان الماقبل سياسي بضرورة وضع حد للعدالة الخاصة.

٤- ولتحقيق ذلك لجأ هذا الإنسان إلى ثلاثة اشياء، قانون وضعي واضح ومحدد، وقاضي محايد لتطبيق هذا القانون، وقوة جماعية قادرة على فرض احترام الحكم الصادر عن القاضي.

٥- ومن أجل أن يبقى هذا الحق مصاناً ومتكاملاً أقام الأفراد علاقة تعاقدية بينهم لغرض التجمع وتشكيل الجماعة الإنسانية الناشئة عن هذا العقد الاجتماعي والتي هي الدولة.

٦- تأتي سلطة الدولة في تشريع القوانين وتطبيقها وإصدار العقوبات وتنفيذها في رأي لوك من مصدر وحيد هو حاصل تنازل الأفراد عن حقٍ محدد بالذات هو حقهم الشخصي كأفراد في إيقاع العقاب بالآخرين لتحتكر الدولة هذا الحق لنفسها.

٧- إن نشوء الدولة بموجب العقد الاجتماعي ليس من شأنه الغاء ولا نفي كل الحريات الفردية القائمة في حالة الطبيعة، لأن هذا العقد لا يقوم إلا على التخلي عن حق فردي واحد فقط كان سائداً في حالة الطبيعة هو الحق في ايقاع العقاب مقابل ضمان تمتع الافراد المتعاقدين لكل حقوقهم الأخرى.

٨- إن لوك لم يقل بالقطيعة بين الإنسان الطبيعي والإنسان المدني، لأن الثاني يحتفظ بكل حقوق الأول ماعدا حقه في إيقاع العقاب الخاص، مما يمثل في الحقيقة التفسير التقني للدولة الليبرالية كنظام سياسي اجتماعي يسود فيه الحق الفردي، حق الحياة الخاصة وحق الملكية الخاصة، وهي في الواقع الحقوق التي تكون بمجموعها ما يسمى حقوق الإنسان التي لا يجوز للسلطة خرقها أو الإخلال بها.

٩- وبذلك جعل لوك من الثورة أمراً ممكناً ومشروعاً من الناحية الطبيعية والعقلية اذا ما تعدت سلطة ما على حقوق الإنسان الطبيعية أو فشلت في احترامها والمحافظة عليها سواء تمثلت هذه السلطة بالحكومة او بالبرلمان.

١٠- ومن أجل تحاشي الثورة يقترح لوك اللجوء إلى تنظيم سياسي معين قادر على ضمان حقوق الأفراد في مواجهة أي اعتداء عليها، وينطلق هذا التنظيم من الإقرار بوجود سلطات ثلاث هي السلطة التشريعية والسلطة التنفيذيو والسلطة القضائية والتي ترتبط فيما بينها بعلاقة بنوع معين.

١١- لقد صاغ لوك تصوره عن السلطات الثلاث والعلاقة بينها بشكل استهدف منع تركز هذه السلطات في يد واحدة من خلال التمييز والفصل بينهما وظيفياً.

المصادر:

١- عبد الرضا الطعان، علي عباس مراد، عامر حسن فياض، ط١،موسوعة الفكر السياسي عبر العصور، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٥.
٢- كوينتن سكنر، أسس الفكر السياسي الحديث ، عصر النهضة، ج١، ط١، ترجمة حيدر حاج اسماعيل، المنظمة العربية للنشر، بيروت، ٢٠١٢.
٣- جان توشار، تاريخ الفكر السياسي، ط٢، ترجمة علي مقلد، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣.
٤- كوينتن سكنر، أسس الفكر السياسي الحديث ، عصر الاصلاح الديني، ج٢، ط١، ترجمة حيدر حاج اسماعيل، المنظمة العربية للنشر، بيروت، ٢٠١٢.
٥- فرانسو شاتليه، تاريخ الايديولجيات-القرن ٧-١٩، ج٢، ترجمة انطون حمصي، وزارة الثقافة، سوريا، ١٩٩٧.